

## الفصل الأول

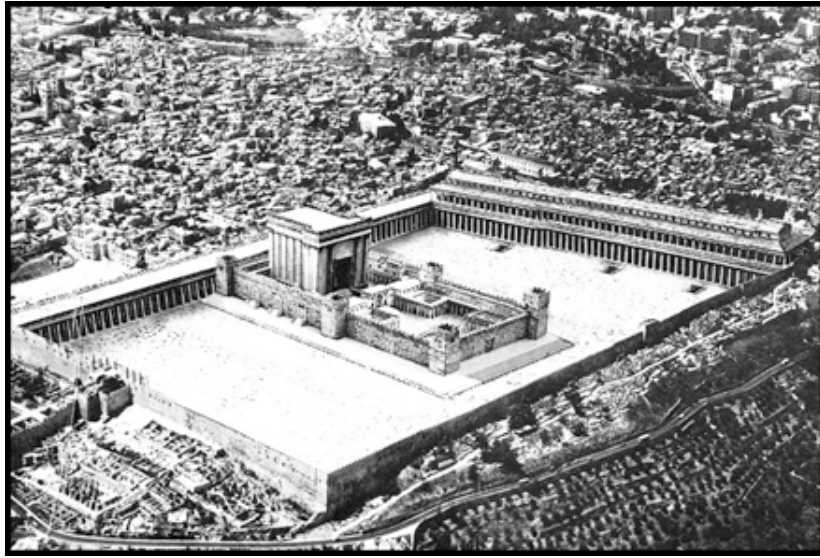
# العداء الأبدي

• العدو القديم.

• العدو المعاصر.



واليهود يستهدفون الاثنين معاً



هكذا يريدون الساحة خالية من المسجدين لبناء الهيكل الثالث

## العداء الأبدي

### ١. العدو القديم:

لم يكن من قبيل المصادفة تحذير القرآن الكريم من عداوة اليهود ووضعتهم في مقدمة صفوف أعداء المؤمنين في قول الله - تعالى -: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهَابَنَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢]، ولم يكن مصادفة كذلك حديث القرآن المتكاثر عن هذا الصنف من الناس بهذا الشكل اللافت؛ حيث شغل الكلام عن بني إسرائيل واليهود حيزاً كبيراً في التنزيل الحكيم مكّيه ومدنيّه؛ بحيث ورد ذكرهم تصريحاً أو تلميحاً ومسهباً أو مقتضباً في نحو خمسين سورة من مجموع المائة والأربع عشرة سورة من سور القرآن.

نعم . . لم يكن ذلك كذلك قط، فباليقين هناك سر؛ بل أسرار، وبالْحِتمْ ثمة حكمة؛ بل حِكم من وراء استحواذ اليهود على كل ذلك الاهتمام، تحذيراً وتنبيهاً، وتوضيحاً وتفصيلاً. ولقد كانت الأحداث المتتابعة أثناء عهد تنزل الوحي كفيلة بكشف أسرار كثيرة، وسبر أغوار عميقة جدية بأن نقف أمامها طويلاً. فما كاد العهد المكي ينقضي إلا ويجيء العهد المدني كاشفاً بمرور أيامه عن جوانب الحقيقة . . حقيقة العداء اليهودي المتأصل للإسلام وأهله.

فهم بعدما اشتعلت نيران الحقد في صدورهم لما تبينوا أن النبي الذي أرسل ليس من بني إسرائيل . . ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن

## الفصل الأول

قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴿البقرة: ٨٩﴾ ، لما علموا ذلك وهالهم أن تظهر النبوة في غيرهم عادوا لممارسة وظيفتهم الشيطانية التقليدية ، وهي إشعال الفتن وإيقاد الحروب ، وبث الضغائن وإثارة الأحقاد والعداوات ، وهي أمور جلبت اللعنة عليهم على السنة الأنبياء والمرسلين . . . ﴿لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨] . وهم مع ذلك يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه !

وكادت فتنهم تعصف بالمجتمع الإسلامي الوليد في المدينة ، لولا أن قيض الله لنيرانهم الخبيثة من يطفئها ، وكان ذلك على يد النبي ﷺ في ذلك الحين ، وظلوا من بعده يعودون لإيقاد الحروب وبث الفتن ، ويعود الله عليهم بمن يطفئ نيرانهم ويوقف مسيرة إفسادهم . . . ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ .

[المائدة: ٦٤] .

ولما بلغ من شعورهم بعزتهم وقوتهم وكثرتهم في عهد النبي ﷺ أن حرّضوا الناس عليه وعلى أصحابه المهاجرين وأقسموا ليُخرجن الأعرّ الأذلّ من المدينة ناسيين العزة لأنفسهم . . . لم يجد النبي ﷺ بداً من التنكيل بهم وإيقافهم عند حدهم ، وجعلهم عبرة للمعتبرين من المنافقين والمشرّكين الذين ظاهروهم على نكث العهود والمجاهرة بالعداء .

وبدأ النبي ﷺ خلال فصول متعددة في خوض جهاد طويل ضدهم ، بدأ الفصل الأول منه في الربع الأول من العهد المدني ، ثم استمرت عملية التنكيل بهم إلى أن أجلاهم النبي ﷺ عن المدينة ، وأمكن بذلك خضد شوكتهم وفل حدهم ، وتم إجلاء بعضهم عن القرى الأخرى في الربعين الثاني والثالث منه . وتم على حلقات تنفيذ سلسلة جهادية مضادة لهم ؛ لم يكن ممكناً بدونها أن تستمر

دولة الإسلام الأولى قائمة أو راية التوحيد مرفوعة إلا أن يشاء الله شيئاً . . فتم قتل (أبي عفاك) الذي كان يحرض على رسول الله ﷺ بشعره وهجائه ، وتم إجلاء (بني قينقاع) بعد أن استهانوا بحرمة الإسلام وحماه ، فهتكوا حرمة امرأة مسلمة وكشفوا سواتها<sup>(١)</sup> ، وتم قتل (كعب بن الأشرف) الذي كان يحرض أيضاً على النبي ﷺ بشعره ويشبب بنساء المسلمين<sup>(٢)</sup> ، وتم إجلاء (بني النضير) بعد أن تأمروا على اغتيال النبي ﷺ لإلقاء حجر كبير عليه من أعلى بيت كان يجلس أسفله ؛ وذلك حين أراد أن يستعين بهم على دية بعض القتلى عملاً بواجب حلف كان قائماً معهم<sup>(٣)</sup> ، وتم القضاء على (بني قريظة) بعد أن ظاهروا الغزاة الزاحفين على المدينة جهرَةً على المسلمين<sup>(٤)</sup> .

وبالتنكيل ببني قريظة تم القضاء على يهود المدينة الذين كانوا هم الأقوى والأغنى والأبعد نكاية وأذى وكيداً للإسلام والمسلمين ، ولم يبق في المدينة من اليهود إلا أفراد قلائل كانوا مسالمين ، ولعلمهم كانوا عرباً متهودين فترك لهم حرية الإقامة والدين .

ثم التفت النبي ﷺ إلى اليهود الآخرين ممن كانوا خارج المدينة ، وكانت لهم أدوار في الأذى والفتنة ، فتم قتل (أبي رافع سلام بن أبي الحقيق النضيري)<sup>(٥)</sup> في خيبر ، بعد أن حزب الأحزاب على النبي ﷺ والمسلمين ، ثم تم قتل (أسير بن رازم) وجماعة معه بعد أن اتخذته يهود خيبر أميراً لهم بعد أبي رافع ، فاستأنف بعده مهمة تحزيب الأحزاب لحرب المسلمين .

(١) انظر البداية والنهاية ، للإمام ابن كثير ، (٤ / ٤) ، طبعة دار الريان ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

(٢) انظر المصدر نفسه ، (٤ / ٦ - ١٠) .

(٣) انظر المصدر نفسه ، (٤ / ٧٦ - ٨٢) .

(٤) انظر المصدر نفسه ، (٤ / ١١٨ - ١٢٨) .

(٥) انظر المصدر نفسه ، (١٣٩٤ - ١٤٢) .

## الفصل الأول

ثم - أخيراً - تم فتح خيبر والقرى اليهودية الأخرى بعد صلح الحديبية بنحو شهرين<sup>(١)</sup>، وفتحت حصونهم التي كانت أوكاراً للتأمر، وجحوراً للأفاعي .

ومما حدث أيضاً بعد فتح خيبر وإبقاء النبي ﷺ بعض اليهود فيها على أن يتولوا رعاية بساتينها على نصف الغلة - أن امرأة أحد زعماء اليهود أهدت للنبي ﷺ شاة مشوية، دسّت فيها السم، فلاك شيئاً منها فاستكرهها وقال: «إن هذه الشاة لتخبرني أنها مسمومة»، واستدعى المرأة فاعترفت . ولقد مات من تلك الشاة أحد أصحاب النبي ﷺ وهو (بشر بن البراء)، وظل النبي ﷺ متأثراً بما لأكه منها؛ بل إنه قال - في مرضه الذي توفي فيه - لأخت بشر: «إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهري<sup>(٢)</sup>»، من الأكلة التي أكلت مع أخيك<sup>(٣)</sup> وكان أصحاب النبي ﷺ يرون أنه مات شهيداً بسبب تلك الشاة<sup>(٤)</sup> .

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره عند قوله - تعالى -: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧] «وإنما لم يقل - تعالى -: وفريقاً قتلتم؛ لأنه أراد بذلك وصفهم في المستقبل أيضاً؛ لأنهم حاولوا قتل النبي ﷺ بالسم والسحر»<sup>(٥)</sup> .

وابن كثير - رحمه الله - يشير إلى القصة الأنفة الذكر وما ثبت في قصة ليبد بن

(١) انظر المصدر السابق، (٤/ ١٨٣ - ٢٠٥) .

(٢) الأبهري هو: عرق مستبطن القلب، فإذا انقطع لم تبق معه حياة - قاله ابن الأثير في النهاية، ١٨/١ .

(٣) رواه أبو داود (٤/ ٥٠) (٢٣) كتاب الديات: باب فيمن سقى رجلاً سماً رقم (٤٥١٢)، وإسناده حسن .

(٤) انظر البداية والنهاية، (٤/ ٢٠٩ - ٢١٤) .

(٥) تفسير ابن كثير، (١/ ١٢٨) .

الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ، ووضع ما عمله في بئر حتى دله عليه جبريل عليه السلام، فبعث ﷺ من يقوم باستخراجه منه<sup>(١)</sup>.

وفي الحقيقة أن النبي ﷺ بعد أن وضحت له نوايا القوم البهت وخبثهم وتآمرهم، لم يتحرك شبراً خارج المدينة في غزو أو فتح إلا بعد أن تأكد أن اليهود قد ضعفت شوكتهم وأصبحوا مشتتين، ومات ﷺ وفي الجزيرة منهم بقايا مستضعفون، وكان ﷺ عاقداً العزم على إخراجهم مع إخوانهم من النصارى من جزيرة العرب، وأوصى بذلك من بعده فقال ﷺ: «لأُخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً»<sup>(٢)</sup>.

وقد تابع المسلمون - بعد زمن النبي ﷺ - إخراج بقية اليهود؛ فأجلوهم من جزيرة العرب نهائياً امتثالاً لأمر النبي ﷺ: «أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب»<sup>(٣)</sup>، وتم آخر فصل من هذا الإخراج في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وبالرغم من كل ذلك لم يتوقف الكيد اليهودي حتى بعد الشتات؛ بل تتابع بحسب الأحوال والظروف، وبقدر ما تسمح به الثغرات، فلم يتركوا وسيلة يستطيعون بها تسديد ضربة للإسلام إلا انتهزوها، ولم يدعوا سبيلاً للصد عنه إلا سلكوها.

وفي كل مراحل التاريخ الإسلامي لا تكاد تخلو فترة منه إلا ولافساد اليهود علامات سوداء، في كل مجال يمكن الإفساد فيه، في الفكر وفي السياسة وفي الاجتماع والاقتصاد.

- (١) القصة في صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، باب (١١)، والجزية، باب (١٤)، والطب، باب (٤٩، ٥٠)، والدعوات، باب (٥٨).
- (٢) صحيح مسلم (١٣٨٨/٣) (٣٢) كتاب الجهاد والسير، (٢١) باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، رقم (٣).
- (٣) أخرجه أحمد، ح (١٨٣٤)، والبخاري (٣٨) الجهاد والسير، ح (٣٨٢٥)، ومسلم كتاب الوصية، ح (٣٠٨٩).

## الفصل الأول

فقد عانت أمتنا التلبيس والدس من اليهود الذين نعتهم الله في كتابه بأنهم أصحاب تلبيس ومكر وتدليس ، قال - تعالى - : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ٧١] .

درج اليهود منذ اللحظة الأولى على الدس في ديننا ، عن طريق من دخل منهم في الإسلام نفاقاً ، وتلمذ على أيديهم - بعد ذلك - صليبيون ، وفي خلال القرون المتطاولة دسوا - مع الأسف - في التراث الإسلامي ما لا سبيل إلى التخلص منه إلا بجهد عظيم ، فيما يعرف بـ (الإسرائيليات) ، ولبسوا الحق بالباطل في كل ما نالته أيديهم ، اللهم إلا هذا الكتاب المحفوظ الذي تكفل الله بحفظه إلى يوم الدين ، فحفظه بفضل سبحانه على الرغم من محاولاتهم لتحريفه أيضاً<sup>(١)</sup> . وكان لهم دور بارز في نشوء الفرق الضالة التي شقت صفوف الأمة ، وكان عبد الله بن سبأ اليهودي مثلاً بارزاً على ذلك<sup>(٢)</sup> .

وإذا كانت تلك ومضات سريعة تلقي ضوءاً على بعض معالم سيرة اليهود مع الإسلام إبان ظهوره وحتى انتشاره وانتصاره ؛ فإن تلك السيرة الوضيعة لهم مع الإسلام ما هي إلا امتداد للمسيرة الشنيعة لهم مع الأنبياء والمرسلين والمصلحين قبل الإسلام ، مما جعل القرآن يتحدث عنهم كثيراً ، ويشرح نفسياتهم الشريرة ، ويصممهم بأقذع الوصمات ، ويصفهم بأشنع وأبشع الصفات ، وصماً عادلاً ، ووصفاً مطابقاً .

(١) تواترت محاولات اليهود لتحريف المصحف الشريف ، ومن ذلك ما كُشف في أواخر السبعينيات الميلادية من القرن الماضي ، عندما طبعت (إسرائيل) ربع مليون نسخة محرقة من القرآن لتوزع في المناطق الإسلامية النائية والفقيرة ، واكتشف المخطط .

(٢) انظر رسالة (عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام) ، تأليف : سليمان بن حمد العودة ، دار طيبة ، الرياض .



وليس حديث القرآن المتكاثر عنهم - كما سبق أن ذكرت - وليد مصادفة أو نتائج ظروف، بل إن المتأمل في التاريخ لابد أن يكتشف بلا عناء أن أمة اليهود هي بحق أمة متميزة، متميزة بالمكر ترتديه، وبالإثم والسحت ترتضيه، وبالشر والعداء تمتطي صهوته، وبحب العمر الطويل والمال الكثير تستعذب سكرته، وإن أمة من الأمم لم تشهد ما شاهده تاريخ بني إسرائيل من قسوة وجحود، وعناد وكنود، وتكرُّر للهداية ومقت للمهتدين؛ حتى تأهلوا بجدارة لأن يكونوا محط غضب الله، ومحل سخطه.

كيف لا؟! وهم المغضوب عليهم الذين يستعيد المؤمنون - إلى يوم القيامة - بالله من أن يكونوا مثلهم أو أن يحشروا معهم أو مع إخوانهم من النصاري، وذلك في الدعاء المسطور في فاتحة الكتاب، يقرأه المؤمنون في كل صلاة فريضة أو نافلة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [٦، ٧]. وقد ثبت أن النبي ﷺ قال: «إن المغضوب عليهم اليهود، وإن النصاري لضالون»<sup>(١)</sup>، فهم المغضوب عليهم لأنهم حملوا التوراة فلم يحملوها، وهم المغضوب عليهم لأنهم نقضوا العهد ونكثوا المواثيق، وهم المغضوب عليهم لأنهم مثيرو الفتن، ومشعلو الحروب، ومصاصو دماء الشعوب.

وإذا كان قتل النفس البريئة أقطع جرم يُتصور من إنسان ضد أخيه الإنسان؛ فما بالنا نقوم كان ديدنهم قتل الأنبياء...؟.

قتل المغضوب عليهم عدداً من أنبيائهم بالذبح تارة، والنشر بالمنشير تارة، وبالوشاية إلى الظالمين والتحالف مع الأعداء تارات أخر، وليس ثمَّ كفر أشنع

(١) رواه أحمد (٣٧٨/٤)، ورواه الترمذي (١٨/٥) (٤٨)، كتاب التفسير (٢) باب سورة الفاتحة، وصححه الألباني في تخريج الطحاوية، رقم (٨١١).

## الفصل الأول

ولا جرم أبشع من هذه الأفعال الآثمة، فهذا (أشعيا) - عليه السلام - ينهاهم عن القتل؛ فتكون عاقبته أن يقتل بأيديهم<sup>(١)</sup>، وهذا يحيى - عليه السلام - أراقوا دمه على صخرة بيت المقدس لما تورع عن إصدار الفتوى لأحد ملوكهم بنكاح إحدى محارمه<sup>(٢)</sup>، وذلك زكريا - عليه السلام - نشره بالمنشار تقرباً لملكهم ذلك الذي قتل يحيى<sup>(٣)</sup>.

وقد حاولوا قتل عيسى عليه السلام، وعقدوا العزم على اغتياله، فأنقذه الله منهم ورفعهم إليه<sup>(٤)</sup>، وحاولوا قتل محمد ﷺ فنجاه الله من كيدهم.

أفلا يستحقون - بعد كل ذلك - أن يُسموا بـ «قتلة الأنبياء»؟ جاء في الحديث: «قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة؛ فقام مائة وسبعون رجلاً من بني إسرائيل فأمرؤا من قتلهم بالمعروف ونهوه عن المنكر فقتلوه جميعاً من آخر النهار من ذلك اليوم، فهم الذين ذكر الله عز وجل»<sup>(٥)</sup> أي في قوله - تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧] وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - «كانت بنو إسرائيل تقتل في اليوم ثلاثمائة نبي ثم يقوم سوق بقلهم في آخر النهار»<sup>(٦) (٧)</sup>.

(١) انظر قصته في البداية والنهاية، (٢/ ٣٠، ٣١).

(٢) انظر البداية والنهاية، (٢/ ٤٩، ٥٠).

(٣) انظر البداية والنهاية، (٢/ ٤٨).

(٤) انظر البداية والنهاية، (٢/ ٨٤-٨٨).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره برقم (٦٧٨٠)، والبغوي (٢/ ٣٣١-٣٣٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ١٦١)، وقال محققه: إسناده ضعيف.

(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده عن ابن مسعود، وأورده ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤٨٣)، وقال محققه: إسناده صحيح.

(٧) يلاحظ أن الأنبياء في بني إسرائيل كانوا بمثابة العلماء في أمة الإسلام، ولم تكن كثرتهم كرامة لليهود بل دلالة على استعصاء أمراضهم، فكثرت أطباؤهم لذلك.

وكما كان بنو إسرائيل يقتلون الأنبياء فيكثرون ولا يكثرثون، فكذلك كانوا يتوسعون في قتل أتباع الأنبياء كما قال الله - سبحانه -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] ، قال قتادة في تفسيرها: «هؤلاء أهل الكتاب، كان أتباع الأنبياء ينهونهم ويذكرونهم بالله، فيقتلونهم»<sup>(١)</sup>.

وجدير بهؤلاء القوم أن تصدر منهم هذه الفضائح، بعد أن تطاولت ألسنة السفه منهم على الخالق سبحانه، وتعدت أنفس البغي منهم حدود الباري جل شأنه، فقالوا على الله - عز وجل - ظالمين غاشمين ما تعف الألسن عن التلفظ به إلا مسنداً إليهم، فمما حكاها الله - تعالى - عنهم في كتابه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا...﴾ [المائدة: ٦٤].

وهذه مقولة أخرى لا تقل فظاعة عن تلك، نعاها الله عليهم ووبخهم بها، وسجلها عليهم معلماً إياهم أنه يعلم سرهم ونجواهم: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١].

وجرائم القوم أكثر من أن تحصي بمقالة، وأكبر من أن تحاكم في هذه العجالة، وخصوصاً إذا امتد بنا الحديث إلى العصر الحديث؛ حيث طمَّ بغيهم وعمَّ فسادهم وأصبح يهدد الجنس الإنساني بأسره بعد أن كان يتهدد الحزب الإيماني على وجه الخصوص.

(١) أورده الطبري في تفسيره برقم (٦٧٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣/٢)، وقال المحقق: إسناده حسن.

## الفصل الأول

إنه لغريب أمر هذا الصنف من البشر المسمى باليهود<sup>(١)</sup>، وعجيب شأنه، فأنت لا تكاد ترى حركة مخربة أو فكرة ضالة أو دعوة منحرفة إلا وتجد ورائها يهوداً، فأني نفسية تلك النفسية اليهودية؟ . . وأي طبيعة وأي جبلة؟!

إننا نجد اسم اليهودي يأتي كتوقيع في ذيل كل فتنة، وختم في نهاية كل مصيبة، وهذا التوقيع أو ذلك الختم يكون تارة معلوماً وتارات مجهولاً، ولكنه في حالات كونه مجهولاً فإنه يكون مجهولاً بالتعيين والتشخيص؛ ولكنه محدد بالقرائن والقياس، حتى لكأن كلمة «مجهول» فيما يتعلق بالجرائم الإنسانية العامة أصبحت ترادف كلمة «يهودي».

ولنستعرض الآن بعضاً من هذه (التوقعات) اليهودية لنقيس عليها غيرها . .

\* لقد كان الذي ألب الأحقاد وقلّب الأحزان على الدولة المسلمة الناشئة في المدينة، وجمع بين اليهود من بني قريظة وغيرهم وبين قريش من مكة والقبائل الأخرى في الجزيرة على محاربة المؤمنين . . . يهودي .

\* والذي أثار العوام وجمع الشراذم وأطلق الشائعات في فتنة مقتل عثمان -رضي الله عنه- وما تلا ذلك من النكبات . . . يهودي .

\* والذي كان وراء إثارة النعرات القومية في الخلافة العثمانية، ووراء الانقلابات التي ابتدأت بعزل الشريعة عن الحكم واستبدال «الدستور» بها في عهد السلطان عبد الحميد حتى انتهت إلى إلغاء الخلافة جملةً على يد الظالم

---

(١) أطلق اسم (اليهود) على شعب إسرائيل بعد سقوط مملكتي (إسرائيل) و(يهوذا) واحتلال قورش الإخميني ملك الفرس بلاد بابل، وهيمنته على أرض مملكة يهوذا، ومنذ ذلك الوقت أطلق على شعب يهوذا اسم (اليهود) وعلى ديانتهم (اليهودية)، وأصبحت كلمة اليهود تعني كل من اعتنق اليهودية ولو لم يكن من بني إسرائيل .

أتاتورك . . . يهودي .

\* ومن كان وراء الموجة الإلحادية التي أصبحت - فيما بعد - قوة ودولة تعيش على دماء المسلمين . . . يهودي .

\* ومن كان وراء النزعة الحيوانية التي أصبحت - فيما بعد - منهجاً تتلوث به عقول الناشئة فيما يصنف تعسفاً بأنه علم وتقدم . . . يهودي .

\* ومن كان وراء هدم الأسرة وتفكيك الروابط المقدسة في المجتمعات حتى أضحت فثاماً ليس لها خطام ولا لجام . . . يهودي .

\* ومن كان وراء نزعة أدب الانحلال ، وموجة التفسخ والاضمحلال في علاقات الأفراد والجماعات . . . يهودي .

\* وإن الذي قاد طلائع حركة الاستشراق حتى استشرى فسادها وعمَّ إظلامها وظلمها . . . يهودي .

\* بل والذي كان أبرز قادة حركة التبشير (التنصير) التي اضطلعت بالدور التنفيذي لمخططات الاستشراق ، والذي كان يدبر لعملية الغزو التبشيري في ديار الإسلام . . . يهودي .

\* وإن الذي وضع البذرة الأولى في مؤامرة العصر المسماة بأزمة الشرق الأوسط . . . يهودي .

وغير هؤلاء وأولئك ، يوجد الكثير من أئمة الكفر وقادة الضلال ممن أفرزتهم هذه الشخصيات تلامذة أو جنوداً أو معجيين أو عملاء ، وهم أضعاف المعلومين من أولاد الأفاعي الأفاكين وسليبي القردة الأفاكين .

إن زمرة المفسدين من الموقعين السابقين من أمثال أبي عفك وكعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق وعبد الله بن سبأ . . قديماً، ومدحت باشا وكمال أتاتورك وكارل ماركس وهرتزل وفرويد ودور كايم وجان بول سارتر وجولد تسيهر وصمويل زويمر . . حديثاً، كل هؤلاء وأولئك مع تابعيهم وتلاميذهم في كل عصر ومصر قد صنعوا على أعينهم فتناً عمياء ونكبات ظلماء، ما كان لها أن تُفسد بمثل ما أفسدت لو أن الناس انتبهوا في حينها إلى أن اليهود ينبغي أن يتخذهم الناس أعداءً كما اتخذوا هم الناس أعداءً عندما قسموا البشر إلى قسمين: «يهود»، و«جوييم» أي كفار عوام ما خلقوا إلا لخدمة اليهود، فليسوا بشراً إنما خلقوا على هيئة البشر لئلا يستوحش منهم اليهود، وهؤلاء الجوييم على اختلاف مللهم وتباين دياناتهم هم في نظر اليهود أعداء الله منشأً ومصيراً، في حين أن اليهود في نظر أنفسهم هم أبناء الله وأحباؤه أولاً وأخيراً.

وإذا كان الحق الأ سود قد اتسع في صدورهم ليشمل كل أصناف البشر من غير اليهود؛ فإن هذا الحق قد تركز وامتقع وانعقد ليصب غالب مرارته على الأمة الإسلامية، فهي العدو الأول لليهود منذ وجدت وظهر أمرها؛ فقد سبقت عداوتهم لنا - أمة الإسلام - كل عداوة، وفاقت أزممتنا معهم كل الأزمات استحكاماً وتمكناً وضراوة.

ولعل من العوامل التي أجَّجت في صدورهم نيران الحق ضدنا الأمور الآتية:

أولاً: الأمة الإسلامية فاجأت اليهود من بني إسرائيل بأنها الأمة البديلة المصطفاة، فقد أنزلت اليهود من فوق كرسي الريادة والقيادة للبشر هداية وإرشاداً

لتقتعده إلى الأبد، تاركة اليهود يتقاسمون بظلمهم الغضب واللعنة والطرْد.

ثانياً: كتاب هذه الأمة هو أوضح وأفصح كتاب فضح اليهود، وكشف سواتهم وعرى مخازيهم، فأهال التراب على عهدهم البائد؛ لتبدأ الإنسانية بعدهم عصراً جديداً في ظل كتاب معصوم، وهذا الكتاب مع ذلك خالد باقٍ لا يستطيعون مصادرتة ولا تحريفه.

ثالثاً: رسول هذه الأمة ﷺ كان أثبت الرسل فؤاداً وأمضاهم جهاداً في مواجهة شرور اليهود، وهو أكثرهم نيلاً من تصلب رؤوسهم وإذلاً لكبرياء أنوفهم. هذا مع كونه ليس منهم ولا من سلالتهم، بل أغلق باب النبوة من بعده دونهم ودون غيرهم.

رابعاً: علماء هذه الأمة هم أفضل الناس في محاجة اليهود وأفصلهم في مناظرتهم، وهم أكثر الناس تعقّباً لباطلهم في التأليف والتصانيف.

خامساً: جند الإيمان في هذه الأمة هم الأقوى عزيمة والأنكى شكيمة في القتال مع اليهود، إذا ما توفرت لهم أسباب الجهاد الشرعي. فلا قبل لليهودي بمجابهة أولياء الله المؤمنين إذا ما تكافأت الظروف وتلاءمت الأحوال. وهذه حقيقة عرفها اليهود قديماً وحديثاً.

سادساً: اكتشف اليهود أن هناك تضاداً بين وجود الإسلام في دولة قوية ووجود اليهودية في دولة قائمة، فكان سعيهم الدائم وجهدهم الدائب لهدم الخلافة الإسلامية والحيلولة دون أية إمكانية لإعادتها.

سابعاً: أطماع اليهود وآمالهم صادفت مواقع مملوكة للمسلمين، وأماكن مأهولة بالمسلمين، ففي بيت المقدس قبلتهم وهيكلهم، وفي فلسطين اختاروا

## الفصل الأول

دولتهم، وفي أراضي النيل والفرات محط أطماعهم، فتطلب ذلك منهم قبل تحقيق أغراضهم وأثائها وبعدها، أن يشحنوا قلوبهم ببغضنا، ويشحنوا سلاحهم لقتلنا، ويعدوا العدة للقضاء علينا وإلا فلا دولة ولا حدود ولا هيكل ولا تلمود.

هذه الأسباب اجتمعت ليكتمل بها حقد القوم علينا وليصل بها كامل أذاهم إلينا، ولهذا فنحن أشد أعدائهم عليهم وأبغضهم إليهم. أما نحن - المسلمين أمة الرسول الأمين محمد بن عبد الله ﷺ - فإن اليهود أيضاً أشد الناس لنا عداءً وأكثرهم جفاءً. لأن ديننا كشف لنا عن عدائهم للحق أينما حل وحيثما وجد.

وإننا لنجد وصف العداوة لاصقاً باليهود في آيات كثيرة من كتاب الله، حتى كأنهم ورثوا عن إبليس عداوته المطلقة لكل خير.

\* إنهم أعداء الله، وأعداء الملائكة؛ ولهذا اتخذهم الله - عز وجل - أعداءً. قال - جل شأنه -: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٧، ٩٨].

\* واليهود أعداء الأنبياء والرسول: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

\* واليهود أعداء المؤمنين: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالْسِتِّهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ﴾ [النساء: ٤٥، ٤٦].

\* واليهود أعداء البشر جميعاً: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].



\* بل اليهود أعداء أنفسهم!! : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (٨٤) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تَفَادَوْهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ أَفْتُؤْمِنُونَ بَعْضُ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بَعْضُ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٤، ٨٥].

- وقال - سبحانه - : ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ٦٤].  
- وقال : ﴿تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

[الحشر: ١٤].

ولا شك أن قوماً حازوا هذا النصيب الوفير من العداء لله وللملائكة ورسله، وللمؤمنين، وتجاوزوا ذلك إلى العداء لأنفسهم - لا شك أنهم قد تأهلوا بجدارة لأن يكونوا العدو الأول لنا نحن المسلمين.

فكان لابد لنا - ديناً - أن نتعرف على هؤلاء الأعداء، وندرس أحوالهم الماضية والحاضرة، حتى نكون على بينة من أمرنا معهم.

فالقوم هم في مقدمة أعدائنا، ونحن كذلك في مقدمة أعدائهم، ولا عجب إذن أن يكون القسط الكبير من حديث القرآن عن الأعداء متعرضاً لهم ومتكلماً عنهم.

ويمكننا الآن أن نتلمس بعض الحكم والأسرار من وراء ذلك التفصيل القرآني في ذكر أحوال بني إسرائيل، وقد أشار إليها الأستاذ سيد قطب - رحمه الله -

وأنقلها عنه بإيجاز مع إضافة ما أرى ضرورة إضافته .

يذكر الأستاذ سيد قطب<sup>(١)</sup> من هذه الأسباب ما يأتي :

أولاً: «ظهر من القرآن ومن السيرة أن اليهود هم أول من واجه الدعوة الإسلامية بالعداء والكيد أولاً في المدينة، ثم في الجزيرة العربية كلها، فاحتضنوا النفاق والمنافقين، وحرصوا المشركين وتآمروا معهم على الجماعة المسلمة، كل ذلك قبل أن يسفروا بوجوههم في الحرب المعلنة الصريحة، فلم يكن بد من كشفهم للجماعة المسلمة لتعرف مَنْ أعداؤها؟ ما طبيعتهم؟ وما وسائلهم؟ وما حقيقة المعركة التي تخوضها معهم؟» .

\* ولعلي أضيف فأقول: إن كشف اليهود المشار إليه، ما جاء في القرآن لظرف جيل واحد قد انقضى، وهو جيل الصحابة؛ لأن القرآن يُتلى إلى يوم القيامة، والتوجيه المفصل فيه عن اليهود بهذا التركيز لا بد أنه سيخدم مراحل وعهوداً تالية لعهد الصحابة، سيأخذ فيها الصراع مع اليهود أبعاداً أخرى .

فيمكنني أن أقول: إن تلك الإيضاحات المذكورة عن اليهود في القرآن ينبغي أن تطرح على جيلنا هذا في صراعه معهم، وكذلك على الأجيال القادمة، فتعاد الأسئلة نفسها التي من أجلها كشف القرآن للجماعة المسلمة الأولى أبعاد التآمر اليهودي لتعرف الجماعة المسلمة في عصرنا وبعد عصرنا: من هم أعداؤها؟ وما طبيعتهم؟ وما تاريخهم؟ وما وسائلهم؟ وما حقيقة المعركة التي تخوضها معهم؟ .

(١) انظر معركتنا مع اليهود، ص (٣٤ : ٣٧)، دار الشروق .

ثانياً: «... أن بني إسرائيل هم أصحاب آخر دين قبل دين الله الأخير<sup>(١)</sup>، وقد امتد تاريخهم قبل الإسلام فترة طويلة، ووقعت منهم الانحرافات المختلفة، فاقتضى ذلك أن تلم الأمة المسلمة - وهي وارثة الرسالات كلها - بتاريخ هؤلاء القوم؛ لتعرف مزالق الطريق وعواقبها ممثلة في حياة بني إسرائيل؛ لتضم هذه التجربة إلى حصيلة تجاربها وتنتفع بهذا الرصيد».

\* وأضيف: إن هذا يتضح جلياً من الأحاديث التي يحذر فيها الرسول ﷺ من الوقوع فيما وقع فيه بنو إسرائيل (من يهود ونصارى) من المخالفات والافتراق في الدين؛ مبيناً أن من هذه الأمة من سيسلك مسلك بني إسرائيل خطوة خطوة.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»<sup>(٢)</sup>.

وحذر ﷺ من سلوك سبيل بني إسرائيل في الإفساد، عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إذا كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة. قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي»<sup>(٣)</sup>.

(١) على اعتبار أن عيسى - عليه السلام - أرسل إلى بني إسرائيل أيضاً.

(٢) رواه الترمذي (٢٥/٥) (٤١)، كتاب الإيمان (١٨) باب ما جاء في افتراق الأمة، حديث رقم (٢٦٤٠)، وقال: حسن صحيح، ورواه ابن ماجه (١٣٢١/٢) (٣)، كتاب الفتن (١٧) باب افتراق الأمم، رقم (٣٩٩١).

(٣) رواه الترمذي في نفس الكتاب والباب السابقين، حديث رقم (٢٤١)، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٣٤٨).

## الفصل الأول

ثالثاً: « . . . أن تجربة بني إسرائيل ذات صحائف شتى في المدى الطويل ، وقد علم الله أن الزمن حين يطول على الأمم تقسو قلوبها وتنحرف أجيال منها ، وأن الأمة المسلمة التي سيمتد تاريخها حتى تقوم الساعة ستصادفها فترات تمثل فيها فترات من حياة بني إسرائيل ؛ فجعل أمام هذه الأمة وقادتها ومجدي الدعوة في أجيالها الكثيرة نماذج حية من العقابيل التي تلم بالأمم ، يعرفون منها كيف يعالجون الداء بعد معرفة طبيعته»<sup>(١)</sup>.

\* وأضيف أيضاً: إن أمة بني إسرائيل كما كان لها جذور في الماضي القديم ، فإن لها كذلك امتداداً واستمراراً في الحاضر والمستقبل يناظر حاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها ويوازيه ، بل إن اليهود - وكذلك النصارى - هم من الأمم التي علم الله - تعالى - أنها ستبقى مع بقاء الأمة المسلمة مناوئة لها ومعادية لدينها ، ويدل على ذلك ما ثبت في أحاديث الملاحم وأحاديث القتال بين اليهود والمسلمين قبل قيام الساعة ، وكون اليهود هم أكثر أتباع الدجال الذي ستقاتله الطائفة المنصورة من هذه الأمة عندما يخرج .

فكما كان اليهود في بداية الإسلام سيفاً مسلطاً عليه ؛ فإنهم ظلوا كذلك بعد مرور القرون الطوال وحتى عصرنا هذا وما بعد عصرنا هذا ؛ ولذا كان لابد من استمرار التوجيه والإرشاد والتنبيه ما دام الصراع مستمراً . وكما كان الصحابي يتلو قول الله - تعالى - : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا...﴾ [المائدة: ٨٢] ، فيعرف منه من يضع في مقدمة الأعداء ، فكذلك كان يتلوه التابعي وتابع التابعي ومن جاءوا بعدهم ، كل في عصره وفي ظرفه ، وكان أشد الناس عداوة لهم أيضاً في كل العهود اليهود والذين أشركوا ، وكذلك تلاها

(١) معركتنا مع اليهود ص ٣٨ .

أصحاب القرون بعدهم، حتى جاء عصرنا فتلونناها - وهي خبر لا يقبل النسخ -  
وعلمنا من الآية أن أشد الناس عداوة لنا: ﴿الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، وسيتلوها  
أبناءؤنا من بعدنا وأحفادهم من بعدهم إلى يوم القيامة، فما دمنا وداموا فالصراع  
صراع وجود ليس بزمان محدود.